# تجليات الهامش في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣م

م.م سارة راضي بشارة

Sararadi2019@gmail.com

**الملخص :**

أرتأينا في هذا البحث أن نسلط الضوء على واقع السلطة ودورها في تهميش الآخر لاسيما سلطة النظام الدكتاتوري ومابعده التي مثلت السلطة المتمركزة على الآخر ، وعليه فقد جاءت النصوص الروائية الجديدة لتصف التجربة السياسية بالقمعية والاقصائية ، وذلك عبر الكشف عن لهجته وآيديولوجياته أي موضوعات جديدة لم تكن مطروحة في الرواية العراقية من قبل ومن هذه الموضوعات هي ممارسات السلطة السياسية وتبعيتها ضد الاخر المهمش.

الكلمات المفتاحية: (تجليات الهامش، الرواية العراقية).

## Character transformations in the Iraqi novel after 2003

**Sarah Radhi Bashara**

**Dhi-Qar University / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language**

**Abstract:**

we decided in this chapter that we might shed light on the reality of power and its connection to marginalizing the other, especially the power of the dictatorial regime and what came after it, which represented power centered on the other. New narrative texts may define the liquidations of economic pressure as oppression and exclusion, by revealing its tone and intellectual verses, i.e. new topics. They were not presented in the editorial narrative before, and before these topics are political practices that followed them against Al-Akhrash.

Keywords: (manifestations of the margins, the Iraqi novel).

## تجليات الهامش في الرواية العراقية

**توطئة :**

**الهامش لغةً :**

عرف مصطلح الهامش تعريفات كثيرة ومتنوعة ومنها (( همش الهمشية : الكلام والحركة ، همش، وهمش، القوم فهم يهمشون وتهامشوا، وإمرأة همش الحديث بالتحريك وتكثر الكلام وتجلب والهمش : السريع العمل بأصابعه وهمش الجراد تحرك ليثور ))[١].

**الهامش اصطلاحاً:**

يمكن تعريف الأدب الهامشي على أنه (( كل أدب منبوذ متمرد ومتجاوز لسلطة المركز، وقد شاع تعبير أدب الهامش في السنوات الاخيرة وانتشرت فكرة التهميش منطلقة من ديناميكية التخلص والنبذ، لذلك تعددت جوانب هذ الهامش لتشمل الهامش الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي فهو في البسط معاينة الادب المتجاوز للمألوف والمتمرد على التقاليد الفنية السائدة))[٢].

واستناداً لما سبق يمكن القول: إن سبب نبذهم هذا المفهوم أو المصطلح لأنه يمس القضايا الجوهرية الحساسة، التي تتعلق بأمور الرفض والمعارضة والتطرق للمسكوت عنه لذلك عدّ هذا الأدب متمرداً على المألوف. وبذلك يكون ارتباط الجماعات الهامشية من ناحية نموها وازديادها بالأوضاع السياسية والاجتماعية ، وغالبا ما يرتبط عنف هذه الجماعات بعنف السلطة وتعسفها، وما يمارسه المركز من قهر وتغييب وتبني مختلف وسائل القهر والاحتقار لتضييق فرص المشاركة الفعلية العامة[٣].

ويمكن أن نعد المهمشين متوناً لا يمكن رؤيتها بعيدة عن دائرة العمل الاجتماعي والبحث السوسيولوجي ، الذي يعد السيرورة الأنثولوجية التي تحاول أن تقرب الأشخاص أو الجماعات في مجموعة أكبر وأوسع [٤] ، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى أن الإنسان المهمش لا تسمح له الأوضاع والأنظمة بممارسة حريته وتنمية طاقته الإيجابية مما يجعله يفتقر إلى الاندماج ويصاحبه الشعور بالعزلة ولا تملأ نفسه بالابتزاز والكرامة بقدر ماتذله وتسلبه حق المشاركة في اتخاذ القرار وصنع مصيره نتيجة للقهر الذي يمارس عليه .[٥] فالمهمش (( هو الذي لا يعتبر موجوداً لا بالداخل ولا بالخارج وهذه

الوضعية تحرمه من الاحساس بالتآلف والتآزر ولا تحول بالإدماج أو الاندماج الكلي أو حتى الجزئي في عالم آخر يتمايز معه ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً )) [٦].

وقد رأينا أن هذه الثيمة تجلت بوضوح في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ فليس ثمة دراسات كثيرة تناولت المهمشين ووضعياتهم في المجتمع ومقارنتهم بالمركز، فتجلت أبعاد هذه الظاهرة ودلالاتها في سياق التحولات التي شهدها المجتمع العراقي على الصعيد السياسي والاجتماعي، فبرزت رؤى وتصورات فلسفة ما بعد الحداثة التي وجهت أنظارها (( إلى النقد الاجتماعي عبر تفكيك ثنائية الهامش والمركز في الخطاب السائد، الذي يعتمد عزل وتهميش المختلف ثقافياً واجتماعياً للحفاظ على مكاسبه ومركزيته (السلطة) بكل تمثيلاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية))[٧]. وقد تكون الكتابة في الهامش تنفسياً عن المتن بحكم ضغط المتن فقد تعبر عما لا يستطيع أن يعبر عنه المتن (( لأنها تمثل نوع من الانزياح المنفلت من قبضة الكتابة المركزية المؤسسية ، إنها نوع من التمويه تمارسه الكتابة في هامشها بعيداً عن سلطة المتن والمركز ولذلك تكون معبرة بشكل قوي عن سلطة المسكوت عنه ))[٨].

وعليه ظهرت هذه الفلسفة ضد مركزيات الخطاب السائد وظهر معها الاهتمام الأدبي بصورة المهمشين في الرواية (( كونها الجنس الأقرب تمثلاً ودلالة لصورة المهمشين من خلال توظيفها، واستثماره كخطاباً سردياً وبناء فني عبر شخصياتها التي دائماً ما تظهر ميلاً نفسياً واجتماعياً لنقد الواقع الإنساني على لسان فئات لم تحظ من قبل بكل هذا الاهتمام والحضور داخل النص الأدبي، كونها طبقات ثقافية واجتماعية غيبت عن حقوقها بحياة كريمة))[٩]، ويشكل خطاب الهامش في الرواية ((بنية نصية مستقلة تتفاعل بنيوياً ودلالياً مع البنية النصية الكبرى وهذه البنية الهامشية الصغرى قد تقول ما لا يقوله المتن ))[١٠]، وقد التفت إلى أهميتها النقاد بعد إن أعطى التحليل النفسي (الفرويد) أهمية كبرى لكل مالا يلعب دوراً مركزياً، فالهامش بحسب فرويد لابد أن تكون له دلالة مركزية أكثر من المركز ذاته.[١١]

وبذلك فالهامش الذي يكون خارج حدود النص المركزي هو من يمثل معادلة السلطة المركزية وتبعية الهامشي الخاضع، وهذا المفهوم مشتق من مفهوم السلطة وبعد النتيجة الطبيعية لوجودها، أو فرض هيمنتها فالابتعاد عن السلطة، أو رفض آيديولوجيتها وتوجهاتها الابستمولوجية تعني الاقتراب من الهامش والانحراف عن مسار السلطة ))[١٢].

وتعدّ ثنائية المركز والهامش من أهم القضايا التي اهتم بها النقد الثقافي، واولاها عنايته الكاملة بعد إن كانت مغيبة من طرف النقد الأدبي فقد ساهم النقد الثقافي في ((الاهتمام بالمهمل والمهمش وتوجه نحو نقد أنماط الهيمنة مما فتح أبواباً من البحث ذي الاتجاه الإنساني النقدي الجريء والديمقراطي))[١٣]. ويرى بعض النقاد (( أن طروحات ميشيل فوكو هي من نقل مفهوم التهميش من الحقل الاجتماعي إلى حقل اللغة من خلال تركيزه على خطاب التمثيل وآليات الالغاء والاقصاء، التي يتضمنها كل خطاب بصورة غير معلنة في مقابل مايحاول اثباته، ليفتح الباب واسعاً للبحث عن المسكوت عنه))[١٤]، وقد امتد مفهوم ثنائية المركز والهامش إلى الأدب، وبذلك يصعب وضع معايير محدودة في تحديد ماهيتها، فالتهميش ((قد يرجع إلى الخلفيات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فيهمش الأدب نتيجة تهميش صاحبه اجتماعياً، وهذا يعني انتماء الأديب إلى الطبقة الدنيا ، وقد ينتج التهميش الأدبي نتيجة مخالفة أصحابه للنظام السائد والثورة عليه بمحاولة تقويمه واصلاحه، فتتعارض أفكارهم وتتضارب آراؤهم والنسق الثقافي السائد، الذي فرضته السلطة الحاكمة فيصبحون محل استهجان ونقد من طرف المجتمع))[١٥].

وتعدّ قضية التهميش من القضايا الاجتماعية التي تشكل خطراً على بنية المجتمع؛ لأنها تتعرض إلى بنايته الأساسية فتصبح لها تأثير سلبي على جميع مكوناته، وهذا ما وجدناه في الروايات العراقية ومنها رواية (متاهة الأشباح)، التي سلطت الضوء على قضية استغلال السلطة السياسية للمرأة وتهميشها واستغلالها ؛ لتكون تحت سطوة الحكومة وارادتها وهذا ما جسده الروائي عبر القصص التي كانت ترويها (أم قابيل)، ومنها قصة العائلة الفقيرة التي كانت تسكن عندها، وعلاقتهم بالرجل الذي يدعى بأنه قريبهم ، إلا أنه تبين فيما بعد بأنه مسؤول حزبي عمل زوجها عاملاً في بيته أثناء البناء ، وحينما سقط زوجها من الطابق الأعلى جاء هذا الرجل إلى البيت، وحين لمح زوجته أعجبته وبدأ يتردد عليهم ويساعدهم في المال طمعاً في مضاجعتها.(( **لقد حدثتني عن مفاهيم الاستغلال بكلمات بسيطة تتطابق في الجوهر مع ما جاء بكتابات المفكرين التنويرين تحدثت عن الأب المقعد المريض الذي يشبه مومياء تتنفس ، وعن استغلال الرجل الذي يرتدي الزيتوني لبؤس العائلة ، فاشترى بماله وسلطته شرفهم وصمتهم وقلب مفاهيمهم الأخلاقية حدثتني عن مقايضة الحب والمشاعر بالمال ، وكيف اضطرت الأم إلى أن تجاري الرجل الزيتوني معتقدة بأنها ستنقذ العائلة من الضياع ، وكيف اقنع الرجل الذي يرتدي الزيتوني الأم كي تمنحه جسدها المليء بالرغبات المكبوتة مستغلاً وضع**

**زوجها الصحي وعدم قدرته على أن يمنحها الراحة النفسية بل أن الرجل الذي يرتدي الزيتوني دفعها إلى تزيف مشاعرها وإن تدعي بأنها تحبه وإن تسقط بذلك الحضيض ))**[١٦]

نجد في النص السابق أن المرأة قد أخذت نصيبها من التهميش السياسي والاجتماعي وذلك بفعل سيطرة النزعة السياسية التي تمثلت باستغلال الوضع الاجتماعي والمادي لتلك العائلة، ليصبح المال هو الوسيلة الوحيدة، لإنقاذها مما كانت تعاني منه من بؤس وحرمان مقابل الأخلاق والشرف، وهذا ما جسده قول الراوي ( فاشترى بماله صمتهم وشرفهم )، أي شرف الأم واستغلالها ومضاجعتها لذلك فإنّ تهميش المرأة جاء نتيجة أزمة الواقع المعيشي والمجتمعي، الذي سلب منها حريتها ودفعها نحو السرية، الباطن، المسكوت عنه[١٧]، وهذه الظروف هي التي دفعت المرأة بأن تحتمي برجل السلطة، وإن تكون محكومة تحت سطوته وإرادته، فقدمت لنا الرواية صورة المرأة بمظهرها الهامشي وخضوعها وفقاً لما يريده الرجل، لأنه شخصية وسلطة مهيمنة ، إذ كشف الراوي عن عوالم المرأة التي تهمشها وتجعلها محط استغلال الرجل، وقد تمثلت هذه العوالم بـ ( الفقر ) الذي جعل منها شخصية مضطهدة من قبل المجتمع ( معتقدة بأنها ستنقذ العائلة من الضياع ) بمجاراتها لرجل السلطة، الذي اشترى صمت الأب وكبريائه المسحوقة فأجبره على تقبل هذا الوضع، الذي تعيشه عائلته مما جعل من زوجته وسيلة بيع وشراء أباحت جسدها في سبيل انقاذ العائلة؛ لتجد نفسها مجبرة على الولوج في عالم الرذيلة، فأرادت أن تبحث عن منفذ ينقذ عائلتها من واقعها المرير حتى لو كان ذلك على حساب مشاعرها، وهذا ما جسده قول الراوي ( دفعها إلى تزييف مشاعرها وإن تدعي بأنها تحبه )، ولكن هذا المنقذ الذي تمثل بالمسؤول الحزبي غاص بها الى قاع الرذيلة، وبعدها نجد النص الروائي يحاول أن يبين أثر الواقع الاجتماعي على المرأة، وإنّه السبب الرئيس في هدر القيم الأخلاقية مما جعل من المرأة وسيلة من السهل الوصول إليها، إذ يمكن هيمنتة عليها وتهميشها من قبل العالم الذكوري الذي مارس بحقها أشد أنواع التهميش والاقصاء، (( إذ يخضع الرجل للحس المتوحش في هذه الثقافة الفحولية ويتمادى في تهميشه للمرأة ))[١٨]، فنلحظ أن الروائي حمل في نصه معاني الظلم والجور والتهميش وسلب حقوق المرأة والتفريط بإنسانيتها، وجعلها وسيلة لإشباع الرغبات الذكورية والتعامل معها على أنها كائن مسلوب الإرادة والحرية والحقوق، فقد اتخذت السلطة من قضية الجوع والفقر والفوارق الطبقية بينهما وبين أفراد المجتمع وسيلة للسيطرة واستغلال من هم أدنى منها، وبذلك تخلق منهم جماعات مهمشة يسعون إلى خدمة مصالحها .

وقد طالعنا في رواية (منازل الوحشة) نوع آخر من تهميش المثقف، وهو ما أطلق عليه (الانتلجنسيا )، وهو من مفهوم روسي تم استخدامه ليطلق على المثقف الأكاديمي الجامعي[١٩]، الذي ينتج الأفكار بوصفه حاملاً لآيديولوجيا يتموضع من خلالها داخل وظيفة فكرية بامتياز، وينتمي إلى ((فئة من الأذكياء الذين يعرفون مشاكل الشعب ويحسنون عرضها، والذين يعتبرون أنفسهم ممثلي الشعب والناطقين باسمه أو الذين يمثلون أنفسهم بوصفهم ضمير الأمة، ومن أجله تقوم جماعات متسلحة بأفكار مختلفة ومتنافسة باقتراح حلول متغايرة لكنها حلول جذرية بكل الاحوال ))[٢٠] ؛ لذلك باتت السلطة تمارس شتى أنواع التعذيب لهذه الفئات ولم يقف الروائي العراقي دون تصوير ذلك، فقد صورت (دنى غالي) حياة أفراد هذه الشريحة الذين نالوا نصيبهم من التهميش، ومنهم بطل الرواية (أسعد) الذي يعمل تدريسياً في إحدى الجامعات، لكن بعد ذلك تم إبعادهم وإقصاءهم وحرمانهم من التدريس بحجة عدم الانتماء للحزب والثورة وجاء ذلك على لسان الساردة .(( **كان الفاصل في حياتنا هو نقل أسعد إلى الأرشيف أوائل الثمانيات وحرمانه من التدريس كعقاب رحيم للتدريسين غير المنتمين لحزب السلطة، وبقيت حياتنا تحت المراقبة انتشر الخبر بسرعة البرق وتحاشى أثرها بعض الأصدقاء زيارتنا أجبر أسعد لسنوات على الجلوس في مكتب مدفون في قبو، كل ذلك كان متوقعاً وغير متوقع في الوقت نفسه تم إبعاده مع زملائه عن الكلية وقضى فترة تعتيم طويلة هناك، كما اعتادوا أن يصفوها كان يشبه نفسه والباقين بكتبة العرائض من جنس الخلد في عزلة عن نفسه عن العالم، كالمساجين ولاشئ غير التوقيع في سجل الحضور**))[٢١].

صورت الساردة حالة التهميش والتحول الذي لاقاه الأستاذ (أسعد) من مراقبة واتهام وتعذيب نفسي، بسبب حرمانه من مهنة التدريس والعيش في قبو الأرشيف في عزلة عن العالم، كما وصفتهم الساردة (كالمساجين) الأمر الذي أدى الى الخضوع والاستسلام لأوامر السلطة، وعدم مجابهتها بفرض آرائه وآيديلوجياته، فقد أثرت به التهديدات والاعتقالات مما جعل منه شخصية مختلفة عما كانت عليه فهو يحسب ضمن النوع الخاضع للسلطة وتابع لأهوائها، لأنه شخصية مضطهدة أمام القوى التسلطية التي يتعامل معها والمفروضة عليه قسراً وبقي الخوف مسيطراً عليه دون أن يتجاوز واقعه المهمش ، فنلحظ أن شخصية ( أسعد ) كان خاضعاً خضوعاً كليا للسلطة فهو من فسح المجال لتلك السلطة أن تمارس هيمنتها دون المواجهة بأي رد فعل يمكن أن يوقف تمرد السلطة، لذا بدت شخصيته مهزومة لا تقوى

على رد الأذى؛ لأنها محكومة من الآخر المركز فأصبح موقفه ضعيفاً يهيمن عليه نسق الخوف والذل والهوان المنغرس في وعي المثقفين من قبل السلطة

ويعتمد التهميش بوصفه سلوكاً إقصائياً على العنف بمختلف أنواعه أسهم في رسم وتحديد صفات لضحاياه المهمشين؛ بسبب ما تعرضوا له من ظلم واضطهاد، وهذا ما حدث مع المسيحين إذ طرحت المتغيرات في الواقع بعد عام ٢٠٠٣؛ بسبب سيطرة المجاميع التكفيرية متمثلاً بخطابها الطائفي الإقصائي، فنادت بفتاوى التكفيرية والمرتدين وقتل المخالف عن أحكام دينهم وإباحة دمه، وهذا ما جسدته رواية ( يامريم ) بعدما تعرض له المسيحيون من قتل وتهجير وتهديد تحت وطأة القتل على الهوية، فقد أمسى المسيحيون ضحية لعنف الجماعات المسلحة المتطرفة وهذا ماجاء على لسان بطلة الرواية ( مها ) عند حديثها عن تلك الجماعات وكيف كانت تلك المجاميع تقوم بتهديدهم عبر مكبرات صوت الجوامع، وتبعث لهم رسائل مكتوبة بخط اليد وأخرى على شكل رصاصات تناديهم بالكفرة. **((الفوضى التي احتلت كل مكان بعد الاحتلال سمعت لما ظنناه ضجيجاً عابراً في البدء لأن يصبح أعلى من قبل ، وإن يستخدم مفردات غريبة مثل ( أهل الذمة) و ( جزية ) مفردات رددها وبصوت عال حاتم الرزاق ، شيخ جامع النور الذي كان بالقرب من بيتنا والذي بدأ يلقب نفسه بـ ( أمير المنطقة) عام ٢٠٠٧ بدأ يصرخ بأنكر الأصوات عبر مكبرات الصوت قائلاً إن على أهل الذمة أن يدفعوا جزية قدرها ٢٥ ألف دولار شهرياً أو أن يشهروا اسلامهم علناً في الجامعة فتطورات التهديدات الكلامية المسموعة إلى رسائل مكتوبة بخط اليد، ثم وضعها عند مدخل البيت أعطت مهلة أسبوع لاختيار واحد من أثنين لمن يريد البقاء الجزية أو الإسلام))**[٢٢].

يتناول النص السابق وضعيات المهمشين (المسيحيين)، فقد كان التهميش الذي جسده النص يقوم على أساس العرق والدين، إذ يحاول السارد أن يكشف عن خصوصية تلك الديانات وتهميشها من قبل السلطة / المركز مبيناً بذلك أنساق العلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية، التي تحمل بعداً إنسانياً معقداً ، ولعل طرح الروائي لهذا اللون من الكتابة التي مثلت المسكوت عنه يحمل إشكالية الواقع بعد عام ٢٠٠٣، فقد أوضح العلاقات الاجتماعية بين تلك الجماعات والآخر المسيحي المستلب الإرادة والحرية نتيجة لسيطرة تلك الجماعات، وتعاملهم مع الواقع عبر التهديد والقتل والتهجير واجبار الآخر على دفع المبالغ التي أطلق عليها المؤلف (الجزية)، ولا شك في أن الرواية التي كتبت في هذه الفترة بين عام

٢٠٠٦-٢٠٠٧، نتجت عن مرجعياتها وما تحمله من أنساق ظاهرة ومضمرة، التي تمثلت بموضوعة الهامش الديني بوصفه أحد الهوامش الاجتماعية، التي كانت عرضة لتلك التغيرات وتشخيص الرواية عبر أنساقها الظاهرة، فقد حملت بعداً نقدياً يمثل وجهة نظر المؤلف وانتقاده لآيديلوجية التهميش، التي طالت الأقليات المنفردة بجرأة الطرح لجميع السياسات التي كانت سبباً في الخراب والتهميش، إذ صورت الرواية المهمش المغلوب دينياً من قبل عناصر تمارس أبشع أنواع القتل؛ ليعبر بذلك عن الصراع الديني ضد هذه الطوائف، وعليه يمكن القول: إن الرواية بجميع نصوصها يمكن أن نصفها برواية المهمشين، التي اعتمد الكاتب فيها بسرد الأحداث على لسان أبطاله المهمشين؛ ليفضح كل أشكال الاستبداد الذي قامت به تلك السلطة ، مما أسهم في ((إعادة إنتاج خطاب السلطة السياسي والقتل والإقصاء الديني والمذهبي والعرقي ضد الأقليات في العراق))[٢٣]، ومن ثم فإن الخطاب الذي حملته الرواية يحمل شعاراً دينياً راح ضحيته الكثير من الطوائف، ((فالصدمة الداعشية كشفت الكثير من الأنساق العدائية المضمرة اتجاه الآخر المختلف، أنساق تتخذ من فعل التدين فعل تعويض ونقص ثقافي ومعرفي وإنشائي قبل أن يكون فعلاً إيمانياً نقياً ))[٢٤].

أما من الجانب الاجتماعي فقد يشكل الفرد وحدة أساسية في بناء المجتمع بوصفه عاملاً له دورٌ أساسي في عوامل تطوره إلا أن ما تعرض له بفعل التهميش ترك أثراً واضحاً على نفسيته، وهذا ماعالجته رواية (فاليوم عشرة) عندما تطرق الروائي لهوية الغجر المهمشين، وعدم قدرتهم على الانسجام مع المحيط الاجتماعي، بسبب ما يعانون من نبذ وإقصاء شكل عندهم هاجساً نفسياً فعاشوا أزمة الرفض والابعاد وسلب الهوية، وقد جسد ذلك الراوي عبر فلمه الوثائقي ( تمثيل الغجر) عندما كتب عن النظام الجديد في العراق، الذي شجع الجميع للخروج إلى الشارع والمطالبة بحقوقهم لكن لم يتحقق شيءٌ منها: **((كان ذهابي هناك للبحث عن الجذور الأولى لهم ، واستنباطهم لصالح الفلم ، طبعاً الحديث مع الغجر كان متعباً فقد عملوا على اخفاء حقائق كثيرة عني ، مؤكدين أنهم فقراء وليسوا غجراً كما يدعي الناس هنا، ففي عام ٢٠٠٥ قادوا مظاهرة صاخبة في ساحة الفردوس الشهيرة وسط بغداد للمطالبة بالحقوق، وتوفير أبسط مستلزمات الحياة وحمايتهم من الهجمات المتتالية لعصابات مسلحة تعيش على مقربة منهم، وتأخذ ما جمعوه في كد نهار التسول، ومن جملة الحقوق التي ينادون بها**

**هي في التمثيل المناسب لهم في البرمان تجسيداً لنظام (الكوته) حيث يزيد عددهم مايقارب نصف مليون غجري ))**[٢٥].

إن ما يلاحظ على النص أن الراوي أراد من خلال ( فلمه الوثائقي ) الذي خصص جزءاً منه لهذه الفئة ؛ ليبين مدى تهميشها على المستوى الاجتماعي والسياسي، لكن بصورة غير مباشرة عبر نسقية (الفلم)، فقد جعل الراوي عبر تقنية الفلم مركزاً في محكيته من عبر الحوار معهم واستنباطهم، ليعطي مساحة واسعة للتعبير عن دواخلهم ومكنوناتها بعد إن كانت هذه الفئة مغيبة ومهمشة ، فجاء النقد الثقافي؛ ليظهر (( هذا التحول متأثراً برؤى وطروحات ما بعد الحداثة، التي وجهت الأنظار إلى نقد الواقع الثقافي والاجتماعي من خلال تفكيك ثنائية المركز والهامش في خطاب السلطة السائدة، الذي يقوم على عزل وتهميش المختلف ثقافياً واجتماعياً على مكاسبها ومركزيتها بكل تمثلاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الراعية إلى مقاربة ثقافة النخبة والمركز وإعادة الاعتبار للهامش))[٢٦]

إذ يمثل الأنا ( الغجري ) نسقاً ثقافياً مناهضاً للآخر المركز وذلك بقوله (في عام ٢٠٠٥ قادوا مظاهرة صاخبة في ساحة الفردوس للمطالبة بحقوقهم)، فقد فرضت مركزية السلطة كل تمثلات العبودية والضعف؛ لأنها نسقاً ثقافياً مقابلاً لنسق السلطة فهذا النسق الثقافي قائم على ثنائية الفقر والغنى، فحديث الراوي يكشف عن نسق مضمر دلالي يعبر عن ثقل وطأة الحياة على هؤلاء الغجر، وما يتعرضون له من تفرقة وعدم حصولهم على أبسط مستلزمات العيش، وهذه التفرقة سببت بنية نفسية متشظية في دواخلهم تعاني من النقص والتهميش، فقد شكل الفقر الذي يعد السمة البارزة عندهم نسقاً ثقافياً صاغ تصوره عن ذاتهم والآخرين، فاسترجاع الهوية الغجرية رهين بترميم الأنساق الثقافية الفاسدة وكشف العيوب النسقية المضمرة عبر مواجهة الذات وتخليصها من عيوبها النسقية وانشقاقها الداخلي؛ لإعادة التوازن إليها فالغجرية تهدف إلى نسق ثقافي يتجاوز الاقرار بالهامشية الدونية والاستهانة بها [٢٧]، وهوية الغجر وإن كانت مهمشة إلا أن الراوي أظهر مركزيتها في لُبّ روايته، وأفرد لها عنواناً فرعياً باسم الشخصية الرئيسة (هوبي)، وحدد ذاتهم وملامحهم ورصد تحركاتهم عبر أخبار (هوبي) (( **إلا أن هوبي أخبرني بالحقيقة المرة قال لي : (( انتظرني هناك وسأحكي لك عن حكايتنا على أن أهبه مبلغاً من المال عن أسرار أهله شريطة أن يكون التصوير أما بحجب صورة الوجه أو بوضع اللثام على وجهه الذي احرقته الشمس ))**[٢٨].

فشكل النص مركزاً لاكتشاف البواطن الداخلية المهمشة فنقل تجاذبات المركز والهامش عبر (إخفاء الوجه أو اللثام )؛ ليعكس التباين بين الطرفين فهذا الحوار بين الراوي (وهوبي) يعبر عن تشظي الهوية الغجرية على الرغم من عدم وجود هوية لهم ؛ بسبب أشكال القهر الذي مارسته بحقهم السلطة، وعليه يمكن القول إنّ الراوي استطاع أن يضمن روايته بلغة الهامش على لسان شخوصها عبر اللهجة العامية، التي كانت حاضرة في مواضع عدة من الرواية، فكانت تمثلات الهامش تعبر عن المنسيين من الذاكرة فقد أراد عبر حكايتهم نقد وفضح النسق الاجتماعي والبوح بالمسكوت عنه ، لتبلغ الرواية قيمتها الفنية بلغتها الجريئة دون المبالاة بالأعراف والقيم وهذا يمثل قمة التحولات التي شهدتها الرواية العراقية وبعد أن رصدنا في النصوص السابقة محاولة صعود الهامش بكسره للأنساق المتعارف عليها في المجتمع، فإننا نلاحظ في رواية (الكافرة ) نكوصاً وذلك بهيمنة السلطة الذكورية التي أظهرت سيطرتها على الأنثى في كثير من المواقف والأحداث، (( فتاريخ الثقافة الفحولية تعزز للذكر ثيمة الشدة والعنف والحكمة والعقل التي تجعله متسلطاً على مضامير مجتمعه ))[٢٩]، إذ يقع الخطاب الروائي ضمن دائرة المركز والهامش فيبرز صوت المرأة المقموع الذي يهيمن عليه النسق الذكوري فيبرز النص عبر التساؤلات التي طرحتها (فاطمة) لوالدتها التي تحمل أبعاداً نسقية تضمر ما هو مسكوت عنه فالواقع الاجتماعي عادة يدني من منزلة المرأة ويرفع من شأن الرجل / المركز ، وهذا ما وضحته الرواية من خلال خوف المرأة من هيمنة الرجل .

**(( كانت أمي حين تتكلم مع أبي فأنها تدمدم بهمهمة غير مفهومة ، صوتها يأتي خفيفاً كما لو كان قادماً من مكان ما، إذ يطلب منها شيئاً فإنها لن تقول له سوى :تحت أمرك .**

**لقد أمضت حياتها باحثة في قاموسها عن أكثر الكلمات ملاءمة لمخاطبته ، ، لقد استبعدت من ذهنها جميع الكلمات الجافة واستخدمت معه الكلمات الشديدة التنميق ولم تستخدم معه الكلمات الباهتة مع ذلك كان الخوف يشّلها نعم كانت على الدوام خائفة سألتها مرة :**

- **لماذا أنتِ خائفة يا أمي**
- **هكذا كان جوابها**
- **لماذا تخاف المرأة ؟**
- **لا أعرف – هي تخاف**

**- والرجل ألا يخاف ؟**

**- هو يخاف أيضاً ، ولكن من أشياء مختلفة حسب أمي تخاف المرأة من كل شئ يحيط بها تخاف حينما تسير في الطريق ليلاً وتسمع خطوات متسارعة خلفها تخاف من صوت الأحذية التي ترن على الرصيف خلفها تتخيل أنها تسرع إن هي أسرعت وتبطئ إن هي أبطأت ،**

**- إنه الخوف من الرجال إذن ))**[٣٠].

في النص أعلاه يمكن القول إنّ الكاتب اعتمد على أنساق مترابطة في روايته ومنها نسق الرجل والمرأة، وكذلك الأنثى المسكوت عنها والمهمشة بفعل هيمنة السلطة الذكورية، وقد وفق الكاتب في تمرير ما يسعى إليه ،وخاصة أن السارد فيها كان إمرأة فنلاحظ فعل الخوف هو فعل المجاميع المسلحة التي ينتمي إليها الأب، فهذا بدوره مسيطر على عامة القرية المسيطر عليها فنسق الخوف مهيمن لدى المرأة وقد اتضح ذلك في الحوار بين فاطمة ووالدتها فبدت المرأة شخصية مهزومة لا تقوى على رد الأذى ؛لأنهاا محكومة من قبل الآخر / الرجل فبدا موقفها ضعيفاً هامشياً، فقد عبر النص عن نسق الخوف الذي جسد حالة الذل والهوان اللذين ذاقتهما بشتى الطرق من ترهيب ورعب وخوف عبر انتهاج أساليب قمعية، وهذا ما يؤكد تبعيتها للرجل وهامشيتها ، فالمركز الفاعل هو الرجل أما المرأة فتقوم بدور ثانوي وتكاد تكون ضحية المجتمع، فنجد أن السلطة الذكورية من خلال هيمنتها تحاول أن تستغل الآخر / المرأة التي تجد نفسها في منزلة أدنى وأقل منه في العرف الاجتماعي، فنلحظ أن الأسئلة التي طرقتها ( فاطمة ) تحاول إعادة هيكل البناء الاجتماعي للحصول على إجابة لا مكان لها للعدل والمساواة ؛ لأنها غير متحققة في المجتمعات العربية (( التي تطمس وجود المرأة وتعمل على إلغائها تماماً، أو تحويلها إلى مجرد كائن مادي تابع))[٣١]، فقد شكل العنف بشتى أنواعه أبرز الأدوات الأساسية التي بنت عليها السلطة الذكورية خطابها الآيديولوجي القامع الذي تستخدمه وسيلة لتحطيم الجسد، إذ انفتحت الرواية على الهامش وركزت على استيلاء صوره وأشكاله عبر سيطرة القوات المسلحة من جهة، ومن جهة أخرى سيطرة الهيمنة الذكورية المتمثلة بـ (الأب)، فبدت العلاقة مع المركز يشوبها الخلل والخوف وعدم الشعور بالأمن والاستقرار، فقدم الروائي شخصيات القرية بوصفه مكاناً يتسم بهامشيته ، إذ أن أغلب الشخصيات فيها تعاني من الاستلاب ؛ لأنها مغلوباً على أمرها، فضلاً عن أزمة الانكسار النفسي التي سببتها ظروف الحرب والسلطة السياسية التي أحكمت قبضتها على رقاب

الناس لتبعث فيهم قتلاً وتدميراً، إذ مثل الخوف مركزية مهيمنة في نصوص الرواية وشكل بؤرة دلالية استسلم لها الهامش بحكم خضوعه وشكل للسلطة، التي لم يحاول الخروج من هامشية التمرد عليها، فهو محكوم من قبلها فألغت وجوده وهذا ما حدث مع المرأة التي عانت هامشية واضحة في حياتها، وقد مارست السلطة السياسية الاقصاء والتخويف للمختلفين أو للمهمشين، فهي تقدم نفسها بوصفها ثقافة شرعية، فالتحليل السوسيوثقافي لهذه الظاهرة (( يربط بين تنامي وتعدد الهوامش الناتج عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبين ثقافة هذا الهامش ))[٣٢].

وهذا التقليل من شأن المهمشين بحسب عبد الله الغذامي هم من أبناء نسق ثقافي مركزي لا يعترف إلا بما هو متن ويخضع لتصنيفات المؤسسة الرسمية التي تعد كل من يخرج منها هامشياً وأقل قيمة [٣٣].

وعند تحليل مسوغات تصادم السلطة مع المثقف نجد أن الرواية صورت جانباً منها، وهذا بدوره يعود إلى طبيعة المثقف ومحاولة السلطة اقصاءه بوصفه شريكاً لها في مقاسمة الأرضية الاجتماعية ، وهذا ما جسدته رواية (مثلث الموت) عندما همشت السلطة المتطرفة دور المثقف الصحفي؛ لأنها تعتقد أنها الأكثر قدرة على فهم الواقع، وبذلك عبرت الرواية عن تمثلات المثقف وتجلياته بصورة عكست واقع علاقة المجتمع والسلطة والآخر، وتطالعنا صورة المثقف عبر الحوار الذي جرى بين سلام ومنتظر وذلك يقول سلام: **(( إن الإعلام العراقي واقع تحت فريسة المؤسسات التي تعد واجهة الأحزاب وخاصة الدينية منها متوقفاً عند نقطة أثارها منتظر، وهي الهامه للصحفيين العراقيين من أنهم يعملون لصالحهم ومن غير التحدث مباشرة قال :**

**– لاريب أن يعمل الصحفي لصالحه؛ لأنه إنسان مطالب بالعيش بكرامة وبمستوى جيد يلاءم ما يتعرض له من تهديدات وقتل واختطاف وساعات الغياب الطويلة على الأهل وتربية الأطفال؛ لأن الصحافة مهنة لا وقت لها ولا ساعات محددة))**[٣٤].

يرصد النص ظاهرة التطرف الديني التي سادت في العراق حيث رصد المؤلف تفاعلات هذه الظاهرة على المستوى السياسي والثقافي، فيتضح من عبر الحوار أن المثقف يعيش على جانب الهامش وإنه المستهدف من قبل السلطة، وكانوا على رأس قائمة الحركات الدينية التي باتت المسيطرة على تصفية الحسابات الجسدية، فنجد الكاتب يعرض لحياة التهميش والعذاب اليومي الذي يتعرضون له،

وهذا ما جسده قول الراوي (لاريب أن يعمل الصحفي لأنه إنسان مطالب بالعيش بمستوى جيد يتلاءم مع ما يتعرض له من قتل وتهديدات)، فالنص يرصد التهديدات والقتل الذي يتعرض له مقابل العيش الكريم ولا ضير أن يعمل لصالحه، فجاءت الرواية واصفة حالة الترويع التي يعيشها المثقف المنتظر لحظة موته .(( **ألم أقل دائماً لا تنظر طويلاً لا تدخل الأماكن الخطرة صدقني حياتك أهم وأطفالك أهم نحن صحفيون على القطعة لا أحد يتذكرنا لو تم قتلنا المؤسسات الصحفية لا تقف مع المراسلين لأنهم يجدونهم الفئة الأقل تجربة حتى في الاختيارات والرواتب والمكافأت أكثر شئ يفعلونه هو وضع أسمك في مربع صغير مع خط أسود في الصفحات الداخلية ولمرة واحدة** ))[٣٥].

استطاع الروائي في حديثه عن تهميش المثقفين أن يصور صدى ممارسة سلطة القمع والإرهاب، التي تمثلت بالقتل وكبت الحريات حتى شهدت هيمنتها على المثقف عبر ممارستها المختلفة، فالراوي أراد أن يوضح في النص أنهم مغيبون ومنسيون ولا أحد يتذكرهم حتى بعد قتلهم، وكذلك بيّن الامتيازات والفوارق الطبقية التي يعيشها المهمش(الصحفي)، (حتى في الامتيازات والرواتب والمكافأت) يشعر الصحفي أنه على حافة الهامش على الرغم من دوره، وما يتعرض له من شتّى أنواع الظلم والتهميش فالسلطة المتطرفة كانت تقف في وجه كل من يعارضها ولا يتماشى مع آرائها، فقد مارست سلطة الإرهاب الظلم على المثقف بمختلف أنواع القهر، إذ جعلوه يعيش الخوف والرعب بكل أبعاده حتى عندما يحمل هويته الصحفية، التي أصبحت تشكل خطراً على حياته ويتضح ذلك من الاغتيال الذي تعرض له سلام على يد الجماعات المسلحة. (( **حيث أعاد الرجل السؤال عليه من جديد كأنه لم يسمع ماقاله فاختار جواباً آخر أكثر مقبولية من أن أقرب الصحف إليه هي المعروفة بمعارضتها للحكومة، رغم إنها مع العملية السياسية لكنها أهون بكثير من الحكومة ،رغم أنها مع العملية ربما لو ذكرها لكانت رصاصة الرحمة تكفي لكي ينفذ به حكم الاعدام هنا في الغرفة، وهو مطمئن أنه بلا هوية صحيفة سوى هوية الأحوال المدنية، فهم يعرفون مسبقاً أن الهوية هي جنازة محمولة، كما كان يقول لأصحابه اذا ما أراد أخذهم السفر، فيطلب منهم ابقاءها في البيت ويذهب كمواطن عادي حتى إذا ماحصل أمر ما، فإن خيارات العودة أكثر منها لو حمل الهوية الصحفية التي تخنق فيها الخيارات الآمنة** ))[٣٦].

يتضح في النص السابق أنّ سلطة الإرهاب هي أقسى أنواع السلطات في قمعها للمثقف، فقد زرعت الرعب في نفوس المثقفين عن طريق اغتيالهم وقتلهم، وبذلك عانى المثقف العراقي عنف السلطة، وانقطعت عليه السبل لتحقيق غاياته وأحلامه عبر انقطاع الصلة بين لغة الخطاب من جهة، وبين المثقف والسلطة من جهة أخرى، فوقفت ضد تدجين مشروعاته سواء أكان بإرهابه أو قمعه أو إبعاده عن حاسة التأثير الاجتماعي[٣٧]، ونستشف من النصوص الروائية أنّ تصوير الروائي لأبطاله المثقفين يعبر عن حقيقة مسكوت عنها، وهي معاناة المثقف العراقي الذي يبحث عن مستقر وعن هوية يحتمي بها من السلطة بعد ما كانت هويته هي المسبب الرئيس لموته ، فقد أصبح المثقف هو من معذبي الأرض ؛ لأنه يقرأ أنساق السلطة ويكشف عن زيفها فيعبر عن ذلك بقلمه الذي بات يهدد حياته فصورت الرواية المثقف المهمش الذي تعرض لعمليات القتل والترهيب النفسي ، حيث عمدت النصوص إلى إسماع صوت المثقف من طرف الجماعات الإرهابية ، لذلك سعت الرواية إلى تجسيد شخصية المثقف الصحفي، لأنها كانت حاضرة وبقوة في الرواية، إذ جعل الروائي أبطال روايته ثلاثة صحفيين ليجسد معاناتهم المهمشة من قبل السلطة وينقل الواقع المأساوي الذي مرّ به العراق.

ومن مظاهر التهميش ما وضحته الروائية ( لطيفة الدليمي ) في (سيدات زحل) بصحوه الهامش المتمثل بـ ( راوية )، وذلك عبر رفض الواقع القاسي المعيش الذي فرضته الميليشيات المسلحة بأحكامها التعسفية المتمثلة بارتداء الحجاب والنقاب بحجة تطبيق الأحكام الدينية، لتمرير أفعالها الشنيعة وما بين صحوة الهامش ومركزية التسلط نجد هناك تمرداً واضحاً من قبل (راوية) على هذه الأحكام ، مما جعلها عرضة للتهديد والقتل المتمثل بقطع الرأس إن لم تستجب لهذه الأحكام وجاء ذلك على لسان الشخصية الساردة وبطلة الرواية (حياة البابلي ) .

**(( تقول راوية : طاردني رجال ميليشيات ملتحون ورشوا على رأسي وثيابي طلاء أسود لأنني لم أكن أرتدي سميكة وجلباباً وغطاء رأس أحاطوا بي لدى باب مديرية الفنون حيث أكمل وصاحوا بي : – عاهرة لابسة هدوم العار ، عاهرة سنحرقك .. نقطع رأسك وفي الحي لاحقها شبان ملثمون وضعوا علامة على باب بيتها وكتبوا بيت عاهرات ...لماذا ؟ لأنها تصبغ شعرها باللون الأشقر وترتدي بنطلونات وتذهب إلى عملها في سيارة أجرة مع ثلاثة موظفين من زملائها احتمت راوية في بيتنا لم تذهب إلى العمل قالت هددوني بقطع رأسي إن لم اضع حجاباً ، يقطعون رأسي تصوري ، لا يصمدون**

**أمام شعر أنثى يسيل لعابهم وشهوتهم ، تعرفين كل البنات معي وضعت الحجاب أنا الوحيدة التي صمدت ...))**[٣٨].

يظهر النص السابق استبداد وهيمنة السلطة المركزية المتمثلة بالميليشيات المسلحة، وفرض سيطرتها على الآخر الهامش (المرأة) للحد من ذاتها وكيانها، وكأن الروائية أرادت أن تفصح عن المسكوت عنه، وكيفية القضاء على هذا الجانب عبر شخصياتها الأنثوية وصمودها أمام المركز المستبد على الرغم من التهديدات التي تتعرض لها (راوية)، إلا أنها بقيت صامدة ومحبة للحياة، وأعلنت تمردها ووقوفها بوجه السلطة حتى لو كلفها الأمر حياتها وقطع رأسها، إذ تمثلت مركزية السلطة على طول امتداد صفحات الرواية بتلك الجماعات المسلحة، التي عرفت بالهيمنة والقوة، والتحكم متمسكة بآيديولوجية معينة بحجة تطبيق الأحكام الشرعية والدينية، فالرواية حملت هذه الثنائية عبر طرحها لتلك القضايا المتمثلة بالقتل والتهجير، الذي ذهبت ضحيتها العديد من الذكور والأناث بسبب انتماءاتهم العرقية والمذهبية منتقدة تلك الأحكام بطريقة ثقافية واجتماعية، عبرت من خلالها عن تحرر المرأة من سطوة الرجل وممارسة حقوقها وإيقاضها من سبات الرضوخ والاستسلام على الرغم من كل ما تعرضت إليه ، وهذا ما كشفته الرواية عبر أنساقها الظاهرة وهي أنساق تمثل سوسيولوجيا الواقع الاجتماعي المعيش، الذي مر به العراق في فترة من فتراته العصيبة أبان سيطرة تلك الجماعات على بعض المناطق والمدن العراقية، فقد تناولت الروائية اضطهاد المرأة على مر العصور وحتى احتلال بغداد عام ٢٠٠٣، إذ تبعت الروائية سيطرة العالم الذكوري على الأفكار والمعتقدات التي تحط من قيمة المرأة وتجعلها بمرتبة أدنى من الرجل، فهي تحاول أن تخرج من سطوة الرجل وتأسس لنفسها هوية وكياناً خاصاً بها؛ لذلك نلحظ أن النص يحمل قضية مهمة تتعلق بتمرد المرأة على من يضطهدها أو يلغيها ، فيعرض لنا تجارب نسوية لا تعرف معنى الولاء والطاعة محاولة أن تثبت هويتها الأنثوية التي تتسم بالقوة والحرية مقابل الشخصيات السلطوية ، وبذلك تحاول المرأة أن تخلق شخصيات قوية وحرة ، تقابلها بذلك أنساق ذكورية ضعيفة وهزيلة ((فترى نفسها حصناً للأسوار يتعاقب على استغلاله الغزاة، فيفرضون عليه شروطهم وقيودهم حيث نجد صورة الرجل وهو الشبح المستلب والقوة الضاغطة القاهرة أبشع صور الذكورة في الكتابة النسوية ))[٣٩]، وقد استطاعت الكاتبة أن تنقل لنا صورة الحرب وبعدها الإنساني والنفسي، أي الافصاح عن المسكوت عنه والمغيب خلف همجية الواقع المعيش؛ لتعبر بذلك عن حجم

الانتهاك والتهميش النفسي والاجتماعي، الذي زرعته الحروب داخل المرأة المستلبة بفعل السياسات المنتهكة التي تمارسها السلطة .

ومن ناحية السلطة الاجتماعية نلحظ صعوداً واضحاً للهامش المتمثل بـ (المرأة ) في الرواية ذاتها، إذ أن المجتمع بصورة عامة والعراقي بصورة خاصة يتصف بكونه مجتمعاً ذكورياً تعاني فيه المرأة من التهميش وسلب الحقوق، مما يجعلها عرضة لضحية العادات والتقاليد ، فقد شعرت الروائية بكل ما يحيط بالمرأة فأرادت أن تبرز ذاتها المستلبة عبر محاربة المجتمع وكسر قواعده ، فتبين النصوص صعود الفئة المهمشة بمواجهة المرأة للمجتمع عبر النسق النسوي، الذي تتحقق فيه ذات المرأة عبر مواجهتها لمحيطها الذي يقف دون تحقيق حريتها(٤٠).

فعلى الرغم من وجود الشخصيات الرئيسة في الرواية التي مثلت مقاومتها للمجتمع صعوداً للهامش ، إلا أن هناك شخصيات أخرى ظهرت كان لها دور كبير في رفض قيود المجتمع، ومنها شخصية ( لمى ) التي تعمل عازفة كمان و (شروق ) من الطائفة المندائية، فقد قررتا العيش بمفردهما لكن معارضة الأهل حالت دون ذلك، لأنها من الأمور التي يرفضها المجتمع أن تعيش فتاتين بمنزل لوحدهما هذا الشيء يعدّ من الأمور الغريبة في المجتمع، ولكن هناك أمور استجدت من قبل زوجة اخو ( لمى ) بإقناعه أن يتقبل الفكرة . (( **ظروفاً استجدت دعت شقيق لمى يتقبل الأمر على مضض عندما رحبت زوجته في الأمر:**

**- دعها عادل ، البيت لا يكفينا جميعا غرفتها ستكون للأولاد وهي بنت شجاعة لا تخف عليها ثم إني لا أتحمل أن أسمع عزفها ليل نهار وهي تتدرب على الكمان فكر بحالتي أنا حامل وأحتاج إلى هدوء .**

**- قال لها : ستلومنا الناس**

**- متى رضيت الناس عن شئ ؟ في كل الأحوال لا يحق لأحد التدخل في حياتنا ، هل تعيش أختك مع رجل ؟ هما إمرأتان ولا ضير في ذلك .**

**- لكنه أمر غير مقبول في مجتمعنا .**

**- بلد بلا رجال الحروب التهمت نصفهم وشردت النصف الآخر لا فرصة أمام البنات ، دعها تدبر حياتها وترعى احداهما الأخرى ما هو العيب في ذلك ؟ ))**(٤١).

إذ حاولنا تقصي المنظور الذي يقوم عليه الحوار في النص أعلاه نجد أنه يقوم على أساس منظور آيديولوجي يمثل نظرة المجتمع من استقلالية المرأة، فهذا المنظور لا يمثل في الكثير وجهة نظر المؤلف، بل يترك الحرية لشخصياته هي التي تتحدث وتعبر عن مكنوناتها ، فقد عمدت الكاتبة إلى صيغ عوالم الرواية بدلالات رمزية قادرة على الانتقال بالأحداث المفتوحة، التي تتغير وفق التحولات المختلفة ، إذ جاء النص الروائي يحمل وجهة نظر ناقدة تكشف فيه تناقضات فكرية ونفسية متمثلة بتهميش المرأة والميل نحو اقصائها بوصفها آخر مختلف فكرياً وثقافياً وجنسياً، لذلك جاء النقد الروائي النسوي للمجتمع الذكوري الذي يرفض كل أشكال التجديد والاختلاف وقد تمثل ذلك بـ (عادل ) أخو ( لمى)، وعلى الرغم من الرواية في بعدها الشكلي تحاول كسر نمط الانغلاق المجتمعي الذي تمثل بتهميش المرأة ، مما دفع الكاتبة لاختيار المرأة معادلاً موضوعياً عانى التهميش إيماناً منها بدور المرأة الفعال في بناء الحياة والواقع ، فالنص مثل صورتين صورت الواقع المألوف ، الأولى هي سكن النساء بمفردها وهذا أمر غير مقبول في المجتمع والثاني المرأة تستطيع أن تعيش في ظل امرأة أخرى بدون حاجة للرجل وهذا يمثل خرقاً للمجتمع ، إذ اعتادت المرأة العيش مع الرجل ، فهو يخشى نظرة المجتمع ، لأنه رجلاً ، أما زوجته فقد مثلت صورة المرأة المثقفة المتعلمة التي تحاول التحرر من هذه القيود، فهي تفهم الواقع وتعلم أنهم يعيشون في مجتمع بلا رجال(الحروب التهمت نصفهم وشردت النصف الآخر فلا فرص أمام البنات)، فشروق ولمى مثلت صعود الهامش بكسرهما قاعدة أن تعيش المرأة مع الرجل حصراً وبذلك فقد أحدث النص تحولاً معرفياً حقيقي في بنية الوعي الاجتماعي للتخلص من حجم المأزق الوجودي وإشكالية التهميش، لذا فإن ممارسة النقد الذاتي الذي وجهته الروائية للمنظومة الثقافية الغاية منه هو للخلاص والحرية، وكسر هذا النمط الاستبدادي الذكوري من خلال إعطاء المرأة دورها الحقيقي كمعادل موضوعي للرجل وشريك قادر أن يصنع الحياة . وعليه فإن جوهر الابداع هو الحرية والمرأة بطبيعتها تفتقر لها؛ لذلك جاء الأدب النسوي ينادي بالدرجة الأولى بتحرر المرأة من القيود الاجتماعية والفكرية والاعلاء من شأنها، وضرب العادات المتوارثة التي تجعل من المرأة كجسد فقط، فجاءت النصوص مكسرة لحاجز الصمت مثبتة مدى قدرتها على الإبداع والمواجهة متحدية الهيمنة الذكورية التي كبلتها لسنين طويلة.

وتعد ثقافة العنف شكلاً خطيراً مارس وجوده ضد الآخر المهمش والمختلف قومياً ودينياً ، وقد أظهرت سلطة المركز الاعتداء والكراهية والعدوان، بوصفه نسقاً ظاهرياً مارس صورة التطرف الديني والعنف الجماعي بحق بطل رواية (فندق كويستيان) (ناصر الكردي) ، لأنه من القومية الكردية وجاء إلى بغداد أبان سيطرة القوات المسلحة المتطرفة دينياً على بعض الأحياء والمناطق، التي تسكنها الطائفة (السنية)، فأخذ يوجهه صديقه (علي) بإعطاء التعليمات التي تبعده عن (العلاسة) بحسب وصفه لتلك الجماعات ، وعليه أن لا يكشف عن هويته وقوميته (( **ديربالك هنا ناصر أنت في بغداد ولست في أربيل أو سليمانية أو برلين حتى طريقة السلام ربما تكشف لون طائفتك وهويتك فلا تسلم على أحد إلا في حالة الاضطرار ، طريقة كلامك ولهجتك ولون بشرتك كلها علامات تكشف للمقابل طائفتك :دائما عش في الظل وقلل من حركتك خارج الفندق : تلك أول تعليماتي السرية له التي اربكته وعلى أثرها دخل المراحيض ممتعضاً عندما تفجرت أمعاؤه التي اختلطت فيها حالة مستحدثة من الخوف البغدادي .**

**- يمعود خبلتني علي ... شنو قابل تعيش في مركز تسليم الشهداء رقم ثلاثة))**[٤٢].

يجسد النص أعلاه الصورة النفسية للمهمش بطل الرواية بسبب تشظي الهوية ونكرانها وضياعه ما بين هويته المنكرة وهويته الجديدة، إذ يعمل على إقناع نفسه بها قبل الآخرين لحاجته للاستقرار ونبذ هويته خوفاً من المجاميع المسلحة، التي تدعي الدين وتمارس الإقصاء بحق الآخر المختلف، وبذلك أصبح التهميش قريناً واضحاً لمن يحمل هوية تختلف دينياً وقومياً عن هوية تلك الجماعة ، لذا يبقى دائما يبحث عن هوية مغايرة خوفاً من الكشف عن هويته الأصلية، إذ يعتمد التهميش على العنف، بوصفه سلوكاً إقصائياً وأداة لتحقيق الغاية، وبهذا يبرز لنا الحوار عن التطرف الديني الذي كشف عن أنساق جديدة وظفت سمة العنف بجعل الآخر المتمثل ببطل الرواية (ناصر الكردي) يعيش حالة من الخوف ؛ نتيجة الاستبعاد والتبعية التي مارستها تلك الجماعات التي تضمر إلغاء الآخر وتعمل على محو هويته الذاتية والثقافية ؛ لأنها تتعارض مع هوية الأنا المستبدة التي تحملها الطائفة الدينية ، التي كانت السبب الرئيس لمنع تكوين هوية واحدة ، وبذلك فقد أراد المؤلف عبر تلك الأنساق أن يشير إلى واقع العراق المتشظي الذي تحكمه الهويات المتطرفة، وتفرض سيطرتها على الناس بطريقة قهرية إذ أصبحت هوية السلطة/ المركز هي الهوية المهيمنة والمعلنة رسمياً التي تهمش الآخر، وتعلن موت

خصوصيته في الكشف عن الذات ورسم حدود هويتها، فهو ((يستخدم كاستراتيجية مضادة لمواجهة استراتيجيات الهيمنة والمركزية في سياق الاشتباك الابستمولوجي بين المركز والهامش بين السيد والتابع ، بين السلطة وضحاياها ))[٤٣].

الخاتمة :

- إنّ الرواية العراقية قد مثلت أوضاع العراق السياسية بعد عام ٢٠٠٣ ، فتناولت قضايا التهميش وأساليبه من حيث المركزية والتهميش سواء أكان تهميش اجتماعي أم سياسي

- تعدّ قضية التهميش من القضايا التي تشكل خطراً على بنية المجتمع؛ لأنها تتعرض إلى بنايته الأساسية فتصبح لها تأثير سلبي على جميع مكوناته، وهذا ما وجدناه في النصوص الروائية العراقية، التي سلطت الضوء على قضية استغلال السلطة السياسية للمرأة وتهميشها واستغلالها ؛ لتكون تحت سطوة الحكومة وأرادتها،

- سعى الروائيون على تصوير الجانب المهمش في المجتمع العراقي، فكانت محاولاتهم بمثابة انبثاق رؤية جديدة من المجتمع نفسه في تعرية تلك الأنساق والقضايا . إذ بينت الروايات الصادرة ما بعد التغيير كيف أدى الاستبداد السياسي دوراً في تهميش فئة اجتماعية كبيرة على صعيد الطائفي والثقافي والأكاديمي ، فأثر التهميش السياسي تأثيراً مباشراً في حياة هذه الشخصيات ولا سيما في الجانب النفسي .

الهوامش

---

(١) لسان العرب : ابن منظور : مادة ( هَمَشَ)

(٢) جدلية المركز والهامش في الرواية النسوية عند ياسمينة صالح في رواية وطن من زجاج : بن ادير ريحانة نور الهدى ، بوكتانه ، رميساء ، رسالة ماجستير :٤

(٣) ينظر : المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي ، جيجخ صورية ، اطروحة دكتوراه : ٢٤

(٤) ينظر : الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة ، محمد مالكي : ٥

(٥) ينظر : المجتمع العربي المعاصر : حليم بركات : ١٢٦

(٦) المهمشون في روايات شوقي كريم حسن : تبارك علي عبد ، رسالة ماجستير :٦

(٧) الانساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية : ٢٠

(٨) الهامش الاجتماعي في الادب قراءة سوسيو ثقافية ، هويدا صالح : ٤١.
(٩) الانساق الواقعية والرمزية :٢٠.
(١٠) الهامش الاجتماعي في الادب :٤٤.
(١١) المصدر نفسه : ٤٤.
(١٢) الشخصية المهمشة في الرواية العراقية (٢٠٠٣- ٢٠١٥ ) : وسن رحيم ، اطروحة دكتوراه : ٤.
(١٣) النقد الأدبي قراءة في الأنساق الثقافية العربية : عبد الله الغذامي : ٥٢.
(١٤) المركز والهامش في رواية اصغر اكبر (( لمرتضى كزار )) ، مجلة اوروك للعلوم الانسانية ، جامعة القادسية : ١٥٨.
(١٥) الهامش في العصر العباسي أبو الشمقمق أنموذجاً : بن بوزيد نوال ، رسالة ماجستير : ١٦.
(١٦) متاهة الاشباح : ١٣١.
(١٧) ينظر : الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية : د. قيس كاظم الجنابي ، مجلة اقلام : ٧٩.
(١٨) المهمشون في روايات شوقي كريم حسن : تبارك علي عبد ، رسالة ماجستير : ٢٤.
(١٩) ينظر : سوسيولوجيا المثقفين : جيرار ليكرك : تر ، جورج كتوره : ٥٢.
(٢٠) ينظر : المصدر نفسه : ٥٣.
(٢١) منازل الوحشة : ٩٧.
(٢٢) يامريم : ١٢٠.
(٢٣) الرواية العراقية دراسة في الأنساق الواقعية والرمزية : ٧١ .
(٢٤)الرواية العراقية دراسة في الأنساق الواقعية والرمزية : ٧٢.
(٢٥) فاليوم عشرة : ١٣٣.
(٢٦) المركز والهامش في رواية أصغر وأكبر : ١٥٩.
(٢٧) ينظر :الهوية الزنجية والتورية الثقافية في الشعر السوداني: وداد بن عافية ، مجلة الاداب العربية والعلوم الانسانية : ٢٢.
(٢٨) فاليوم عشرة : ١٣٤.
(٢٩) الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء : زينب علي حسين الموسوي اطروحة دكتوراه : ٤٢.
(٣٠) الكافرة : ٦١- ٦٢.
(٣١) الرواية النسوية العربية (( مساءلة الأنساق وتقويض المركزية )) : د.عصام واصل : ١٧.
(٣٢) الهامش الاجتماعي في الأدب :١١١.
(٣٣) ينظر : المصدر نفسه : ١١٤ .
(٣٤) مثلث الموت : ١١.
(٣٥) مثلث الموت : ١٨٢.
(٣٦) المصدر نفسه : ٢٢١.

(٣٧) ينظر : أدب الأزمة في رواية ( ذاكرة الماء ) لواسيني الأعرج : فاروق جغريف ، رسالة ماجستير : ١١.
(٣٨) سيدات زحل : ٧٥.
(٣٩) الكاتبات السوريات : مروان المصري : ٩.
(٤٠) ينظر : النسوية في الثقافة والابداع : د.حسين المناصرة :١٦١ -١٦٢.
(٤١) سيدات زحل : ٣١٥ -٣١٦.
(٤٢) فندق كويستان :٥٤
(٤٣) سرديات ثقافية ( من سياسة الهوية الى سياسة الاختلاف ) : محمد بو عزة : ٣٨.

**المصادر والمراجع :**


١. أدب الأزمة في رواية ( ذاكرة الماء ) لواسيني الأعرج : فاروق جغريف ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة قاصدي مدياح ، ٢٠١١ .
٢. الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة ، محمد مالكي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، د. ط ،٢٠١٣ .
٣. جدلية المركز والهامش في الرواية النسوية عند ياسمينة صالح في (رواية وطن من زجاج) : بن ادير ريحانة نور الهدى ، بوكتانه ، رميساء ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي ، كلية الاداب واللغات ، الجمهورية الجزائرية ، ٢٠١٧ -٢٠١٨.
٤. الرواية النسوية العربية (( مساءلة الأنساق وتقويض المركزية )) : د.عصام واصل ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٨.
٥. سرديات ثقافية ( من سياسة الهوية الى سياسة الاختلاف ) : محمد بو عزة، منشورات الضفاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٤ .
٦. سوسيولوجيا المثقفين : جيرار ليكرك : تر ، جورج كتوره ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط١، ٢٠٠٨.
٧. الشخصية المهمشة في الرواية العراقية (٢٠٠٣- ٢٠١٥ ) : وسن رحيم ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الاداب ، ٢٠١٨.

٨. الكاتبات السوريات : مروان المصري ، الأهالي للطباعة والنشر ، ط١ ، دمشق (د.ت ) .
٩. لسان العرب : ابن منظور ، تحقيق محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار أحياء التراث العربي ، ج٦ ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩ .

١٠. المجتمع العربي المعاصر : حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١ ، ١٩٨٤
١١. مركز الهامش في رواية أصغر أكبر (( لمرتضى كراز )) ، مجلة أوروك للعلوم الانسانية ، جامعة القادسية ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، ٢٠١٩ .
١٢. المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي ، جيجخ صورية ، اطروحة دكتوراه ، جمهورية الجزائر ، جامعة محمد خيضر ، كلية الاداب ٢٠١٥ – ٢٠١٦.
١٣. المهمشون في روايات شوقي كريم حسن : تبارك علي عبد ، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار ، كلية الاداب ، ٢٠١٧ .
١٤. النسوية في الثقافة والابداع : د. حسين المناصرة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٧.
١٥. الهامش الاجتماعي في الأدب ( قراءة سوسيو ثقافية ) : د. هويدا صالح ، دار رؤيا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٥ .
١٦. الهامش في العصر العباسي أبو الشمقمق أنموذجاً : بن بوزيد نوال ، رسالة ماجستير في الادب العربي ، جامعة زيان عاشور ، الجلفة ، ٢٠١٤ -٢٠١٥.
١٧. الهوية الزنجية والتورية الثقافية في الشعر السوداني: وداد بن عافية ، مجلة الاداب العربية والعلوم الانسانية العدد ١١ ، ٢٠١٣.

١٨. الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية : د. قيس كاظم الجنابي ، مجلة اقلام ، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العدد ٣، ٢٠٠٦.

**الروايات :**

١- سيدات زحل : لطفية الدليمي ، دار المدى ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٧ .
٢- فاليوم عشرة : خضير فليح الزيدي ، منشورات الاختلاف ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٦.
٣- فندق كويستان : خضير فليح الزيدي ، مؤسسة ثامر العاصمي للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ٢٠١٩.
٤- الكافرة : علي بدر ، المتوسط للطباعة والنشر ، ميلانو – إيطاليا ، ط٢ ، ٢٠١٦.
٥- متاهة الأشباح : برهان شاوي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣ .
٦- مثلث الموت : علي لفتة سعيد ، سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٦ .
٧- منازل الوحشة : دنى غالي ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣.
٨- يامريم : سنان أنطون ، منشورات الجمل ، بيروت – بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣.